اسلام بلا ضفاف

الاخراج الفنى : محمد قطب

د . يوسف إدريس

إسلام بلا ضفاف

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٩

كلمة لابد منها

لا بد منها لأنى أخشى أن يتصور من يقتنى هذا الكتاب ـ دون اطلاع على محتوياته ـ أن يعتقد اننى أتخذ العقيدة الاسلامية السمحاء ، موضوعا كاملا متكاملا للكتاب كله ٠

ولكن الأمر ليس كذلك ، فحقيقة هناك مواد كثيرة من أبواب هذا الكتاب تتحدث عن الاسلام ، وأكتب من خلالها وجهة نظرى فى كثير من الأوضاع الاسلامية التى فرضت نفسها على القراء والكتاب جميعا ، ولكنها ، مجرد وجهة نظر كاتب فى موضوع الساعة : الاسلام وتطبيق الشريعة والجماعات المتعصبة والعالميين والعلميين ، وكل تلك القضايا التى أصبحت الشغل الشاغل لأى متعامل مع القلم اذا كان كاتبا ، ومع الورق اذا كان قارئا ٠ عشمى اذن ألا يخيب أمل القارىء الذى يقترف الكتاب وكأنه ـ معاذ الله ـ مرجما اسلاميا ٠ فأنا أعرف قدرى وأعرف دينى وأعرف أنى حين أتعرض لاسلامنا الحنيف انما أتعرض له ككاتب يعمل بقضايا الانسان المصرى والعربى والمسلم بشكل عام القضايا الحياتية والسياسية والاجتماعية والثقافية

والفكرية • ومن هنا ، ولهذا السبب جاءت محتويات الكتاب الأخرى •

★★★

ولكنى لا أبادر بنشر هذه المجموعة المتجانسة من المقالات لهذا السبب وحده • ففى العام الماضى صدر لى كتاب ، اعتبره القراء والنقاد كتابا هاما ، اسمه : «فقر الفكر وفكر الفقر» • وكان من الطبيعى لكتاب يتعرض لفقرنا الفكرى والثقافى أن يتحدث أيضا عن فقرنا فى مجال أهم عمل فـــكرى يقوم به الانسان • عقيدته وعلاقته بخالقه •

وفى هذا الاتجاه استعرضت ، مناقشا ، آراء كثيرة يدعو لها عالمنا الاسلامى الكبير وداعيتنا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، استعرضتها لأناقشها وأحدد موقفى من محتواها العلمى والفكرى •

ولكن ، لأن هناك دائما من يهوون الصيد ، حتى فى الماء الرايق ، أو بالأصح يهوون تعكير أى ماء رائق ، فقد فوجئت بابن صديق كاتب هو الاستاذ محمد عبد القدوس وبصديق عزيز زميل حياتى الأستاذ ابراهيم راشد يشنان عـــلى هجوما رهيبا بزعم انى (شتمت) فضيلة الشيخ وتجرأت عليـــه • وطبعا كتبت على الفور فى بابى فى الأهرام أوضح الخطـــأ المطبعى الذى نزل الى الطبع ولم يرفع من الملزمة ، الخطأ فى كلمة واحدة فى كتاب فيه أكثر من مائتى صفحة ، ولكن ، لأن الطوبة جاءت فى المعطوبة ، كما يقولون فمن سوء حظى وقع الخطأ فى معرض كلمة شائقة عن فضيلة الشيخ ، خطأ مطبعى محض لو كنت قد راجعت التصحيح أو راجعـــه الناشر أو المصحح مراجعة دقيقة ما حدث هذا أبدا •

فأنا لست مجنونا حتي ــ بدون مناسبة هكذا ، أتعرض لشخصية تحتل مقاما رفيعا ســاميا فى عقــول وقلوب ملايين جماهيرنا الاسلامية العريضة ، أتعرض لتلك الشخصية وأقول انه « راسبوتين » الاسلام • كان مفروضا أن ترفع كلمــة راسبوتين لان الوصف فى الأصل هو أن عــددا من أعــداء الشيخ الشعراوى ومن أعداء الاسلام يصفونه بأنه راسبوتين الاسلام • الخطأ المطبعى لم يذكر كلمة أعداء الشيخ الشعراوى أو أعداء الاسلام فجاء الكلام وكأنه على لسانى •

وأنا فى حيــاتى لم أتراجــع عــن كلمــة قلتهــا أو كتبتها ، ولو كنت قد قلت أنا شيئا كهذا لما بادرت لتصحيحه ووضع الأمور فى نصابها ليس خوفا فأنا والحمد لله لا أخاف الا من خالقى ومنشئى ولكن ، ليس خوفا وانما اثباتا لحقيقة ما حدث فقط لاثبات الحقيقة واصلاح الخطأ الذى حدث ، أما بقية مناقشاتى واعتراضاتى على بعض ما يقوله فضيلة الشيخ فهو موجود فى الكتاب وأنا أتمسك بكل حرف فيه •

★★★

الجانب المضحك فى المأساة أننى ومنذ أن جرى هذا الصيد السخيف فى الماء الرائق وأنا لا عمل لى الا اجابتى وشرحى لما حدث ، وكأن الناس لا يقرأون ، وبعضهم فعلا لا يقرأ ، وانما (سمع) انى تجرأت على فضيلة الشيخ وسببته • حتى وأنا أؤدى العمرة وأطوف الطوفات السبع بالكعبة الشريفة كان بعض المعتمرين يقطعون طوافهم وشعائر عمرتهم ، ويقطعون أيضا طوافى وشعائر عمرتى ويســألنى الســائل منهم : هل صحيح •• شتمت الشيخ الشعراوى ؟

وكدت أجــن •

فنحن فى بيت الله ، نطوف حول الكعبة فى لحظات من أقدس الأوقات فى حياة المسلم ، فى أقدس بقعة تتجه اليهـا الافئدة والقلوب ، وتنسى ، وهى تطوف كل ما عداها من أمور حياتها ودنياها مهما بلغت قسوتها • ومع هذا يجيئنى السؤال أيضا فى تلك اللحظة المقدسة ، وفى ذلك المكان الذى يبكى الانسان من فرط سعادته بالوجود فيه •

وقـد تحملت قطع طـواف العمرة مرة ومرتين وعشر ، وبطول بـال مضيت أجـاوب ، الى أن بلـغ بى الملـل ، وقلت للسائل الأخير : يا أخى أتضع فضيلة الشيخ فى مكانة أعلى من شعائر الاسلام • فنحن فى بيت الكعبة وفى حضرة رب الكعبة ، والشيخ الشعراوى مخلوق مثلى ومثلك تماما • وسواء ذممته أو رفعته الى أعلى عليين فأنتم أنصاره تكادون تجعلون منه وثنا من الأوثان وليس كائنا بشريا من الله عليه بالايمان والفصاحة والتقوى •

★★★

من أجل هذا ، من أجل ألا نعـود بعد أربعة عشر قرنا من ظهور الاسلام وتحطيم أوثان الكفرة ، توكلت على الله ، وأصدرت ذلك الكتاب حتى لا نعود مرة أخرى الى عبادة أوثان أخرى ، أوثان بشر ، مهما بلغت درجات علمهم وتقواهم فهم كانوا وسيظلون بشرا غير معصومين ، نستطيع ان كانوا على خطأ أو ظننا هذا أن ننقدهم ، فكل الناس قابلة للنقد ، كل المخلوقات بما فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما محمد الا بشر يوحى اليه ، انما الهكم اله واحد •

أما ما صنعتموه بفضيلة الشيخ شعراوى ورفعه من مرتبة البشر الى مراتب القديسين فهو عمل ليس من الاسـلام فى

شيء ، فالاسلام ليس فيه قديسون وليس فيه طبقات للناس عند الله سبحانه الا بمقدار ما فى قلوبهم من تقوى ، والتقوى ودرجتها وبالتالى قدر الانسان ، شيء علمه عند ربى وعند ربى فقط .

★★★

أحببت أن أجمع آرائى هنا ، وآراء غيرى ، ليتضح لنا كم ضيقنا ، بفقرنا الفكرى اسلاما عظيما بلا ضفاف ، يضم ، أو لا بد أن يضم البشرية جمعاء ، بل والجنس البشرى كله .

وليبارك المولى خطواتنا ويعاملنا جـل شأنه بنوايانا انه سميع مجيب .

يوسف ادريس

عمرة كاتب

بدأت الكتابة كمتفرغ منذ خمسة وثلاثين عاما ، وقبلها كنت ضالعا فى الحركة الوطنية الطلابية والعمالية ، ومنذ (العلقة) التى نالتنا على يد فيتز باتريك باشا حكمدار بوليس القاهرة فى كوبرى عباس وجنود بلوكات النظام وثمة علاقة عضوية شخصية قد ربطتنى بالحركة الوطنية المصرية برباط لم تنفصم عراه وأعتقد أنها أبدا لن تنفصم • ما حدث لمصر طوال هذه المدة عانيت منه على المستوى الشخصى من اعتقال الى فصل الى مرض الى اهانات ، ولا أزال أعانى • والانسان منا ليس مصنوعا من حجر ولا من صلب ، انه دم ولحم وعظام فاعصاب ••• ومنذ ذلك اليوم البعيد فى أوائل الخمسينيات ولم تمر على ، وربما على المصريين جميعا الا أيام قليلة جدا من الفرحة الشخصية والجماعية ، مثل يوم ألغى النحاس باشا معاهدة ٣٦ ، ويوم أمم عبد الناصر القناة ويوم قرر فى خطبته المشهورة بالأزهر عقب العدوان الثلاثى أن نقاتل ونقاتل ونقاتل ، يوم طرد الملك ، يوم قرار العبور وبطولة الجيش المصرى فى حرب ٧٣ ، ولا أريد أن أذكر الأسباب التى لا تخفى على القارىء، وبعض أيام أخرى في عهد

الرئيس مبارك ، وفى المقابل كانت حياتنا طوال تلك الأعوام التى قاربت على الأربعين سلسلة متصلة الحلقات من المشاكل والهموم • وعجيب أمر هذا الشعب الذى لست سوى فرد منه كيف تحملنا كل هذا ، كيف لم ننكسر ، كيف لم نركع ، كيف لم نسلم بالأوضاع ونحيا كيفما اتفق ، افتح قلب أى مصرى تجد أن قلقه على بلاده ومصيرها يكاد يوازى قلقه على مصالحه الشخصية وعند بعض الناس يفوق قلقه على مصالحه الشخصية •

ومنذ النصف الثانى من السبعينيات والهم يتثاقل حتى يبلغ الحلقوم • ومع هذا فنحن أحياء مازلنا نتحمل ونصبر ، وحتى نأمل ونحلم وتلك هى معجزة الشعب المصرى تلك التى أبقته حيا طوال أكثر من ألفى عام من حكم المستبدين والغزاة والمجانين •

كانت هذه الأفكار تدور فى رأسى وأنا أرتدى ملابس الاحرام فى طريقى للصلاة فى الحرم وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما فأرضاهما • وقفت أمام مقام الرسول الكريم وجموع المسلمين تتدافع لتلقى على بابه وعلى مقامه نظرة شوق طال ، وشفاعة مكتومة فى النفس كل منهم يبوح له صلى الله عليه وسلم بمكنون قلبه وبدعاء له ولوالديه ولاولاده وعائلته • ومثلما كانوا يدعون دعوت ، ولم يكن الدعاء سهلا • فقد كان على أن أفرغ نفسى تماما من كل اهتماماتها الشخصية والدنيوية كان على أن أطهر قلبى وأفسح صدرى وأمسح كل ما يزدحم فى رأسى من قلق ، ولم يكن الأمر سهلا ، فما كان يشغلنى عمره أحقاب وأحقاب ، طبقات فوق طبقات من هموم عامة وخاصة ، من خوف غريب من المستقبل ، من تشاؤم

يكاد يطبق على بصيرتى وبصرى • كان على أن أتطهر وتعود نفسى برية كنفوس الأطفال الرضع ، جديدة وكأن لم يمسها سوء ولا فعلت سوءا •

وأنا مستغرق فى دعائى لنفسى ولأسرتى وحتى لأصدقائى، هبط على خاطر كأنما هـو منزل من أعـلى عليين • وماذا يا يوسف لو استجاب الله لدعائك وحفظ عليك صحتك وعلى أسرتك سعادتها وعلى أصدقائك حياتهم • أهذا هـو منتهى الوصول • ما فائدة أن تحل البركة والخير على تلك المجموعة الصغيرة من الناس ، فى مجتمع يعانى وبين مصريين يتحملون ما لا طاقة لهم به •

ودنوت الى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورأيته فى ضوء آخر تماما • هذا انسان من بنى البشر اصطفاه الله جل جلاله ليكون رسولا ومبشرا بالاسلام العظيم • فماذا فعل ؟ لم يكتف بتبليغ الرسالة الى أولى القـربى منه أو الى قريش وانما جعل همه كله سعادة البشر فى الجزيرة وفى الدنيـا كلها • وآمن بهذا ايمانا جعله يتحمل الأذى ويتحمـل النفى والهجرة ويحارب ويقاتل المشركين الضالين • رجل واحـد بمفرده وبقوة من عند الله ، ولكن بايمان يجل عن الوصف استطاع أن يغير أناسا يعيشون فى عصر الوثنيـة والبداوة والجاهلية الأولى ، يعبدون أصناما من الحجر الى قوم صنعوا أمة من أعظم الأمم ، ان لم تـكن أعظم أمم الأرض ، قـوم استطاعوا أن يهزموا أكبر امبراطوريتين فى عصرهما يقابلان القوتين العظميين فى عالم اليوم ، يحطمون ديوان كسرى ، ويقوضون عرش امبراطور الرومـان ، وينشرون مبـادىء الاسلام السمحة من بواتييه فى فرنسا الى الصـين فى أقصى الشرق •

وأنا أطوف بالكعبة وأرى الناس سودا وبيضا ، صينيين وأوروبيين مشارقة ومغاربة ، من نيجيريا الى أندونيسيا ، نلتف جميعا حول الكعبة ونصلى المغرب ، يا له من مشهد غريب فريد فى بابه يشرح القلب ، آلاف مؤلفة من الناس يحمدون الله ويركعون ويسجدون ويسبحون ويستغفرون ، كان منظرهم يخلع القلب فرحا ، ويجعلك تنتقل من انتماءاتك المحدودة فى عائلتك أو فى بلدك الى انتماء أشمل وأكبر الانتماء الأكبر ، الى المحيط الاسلامى ، الواسع،وتحس بآلامك ومخاوفك ، تذوب تماما فى هذا المحيط ، وتبدأ نفسك كالماء المعكر بالطين حين يروق ويروق حتى يصبح أصفى من الماء المقطر ، من نقاء وحلاوة ماء زمزم ٠

صليت ركعتين فى الروضة الشريفة ، وارتكنت الى عامود من أعمدة الحرم النبوى الشريف ، أرقب الايمان مجسدا على الوجوه يالحلاوة الايمان حين يكسب الوجه البشرى جمالا نابعا من القلب ، وموجها الى المولى سبحانه ٠

وجاءتنى مصر وأنا مرتكن أمارس متعة الابتهال بلا صوت ، والتأمل بلا انقطاع ، جاءتنى مصر بشعبها ومشاكلها، بحاضرها ومستقبلها، ورحت أدعو للشعب المصرى، بنى وطنى ، أن يزيد الله نعمه ، انه القادر القوى المعين ، ما فائدة ان أكون قد دعوت لعائلتى ولنفسى أن يخلصنا من أزماتنا وقلقنا ونحن نحيا مع شعب واقع فى الازمات والقلق٠ ما فائدة أن تكون سعيدا صحيحا فى مجتمع يعانى ٠

ما فائدة أن يرزقك الله بالملايين فى شعب يعيش على حافة الفاقة ، ان المسلم الحقيقى لا يسعد الا فى مجتمع مكتمل السعادة ترفرف فيه السكينة على الجميع ٠

وظللت أدعو وأدعو حتى وجدتنى أبكى ، بكاء لم يحدث لى من قبل ، فهو ليس بكاء حزن ، وليس بكاء اشفاق على النفس والشعب ، وليس بكاء مذلة واحساس بالضيم ، ولكنه بكاء المحب لحبيب البكاء الواصل بين الله سبحانه والانسان ، البكاء المستلهم من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بكاء المتأمل فى الآيات البينات التى أوحى له بها وغمرت الدنيا من أقصاها لأقصاها ٠

يارب لا تمنحنى الصحة وشعبى مريض

ولا تمنحنى الرزق الوافر وشعبى يشكو الفاقة

ولا تمنحنى سلامة النفس وشعبى يطحنه القلق ٠

وأنزل اللهم السكينة على قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ٠ يا لها من آية كريمة معجزة المعنى ظللت دون أن أعى أرددها وكانما بقدرة قادر وباملاء قادر « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم » أنزل اللهم السكينة على قلوبنا ، وألهمنا الصواب ، وأخرجنا بفضل قدرتك ورحمتك من مأزقنا وهيىء لنا من أمرنا رشدا ٠ انك انت السميع المجيب الوهاب ٠

★★★

العلم الاسلامى ٠٠ والعلم الغربى

فى العلم الاسلامى ظهر العباقرة الموسوعيون

بينما فى الغرب لم يظهر عباقرة شموليون

التصور الغربى للعلوم والتكنولوجيا تصور قاصر ما فى ذلك شك ، ذلك انه يرتكز على التسليم بانه يجب قياس العلوم والتكنولوجيا بمقياس واحد فقط هو قدرتها على احكام أقصى قدر من السيطرة على الطبيعة وعلى البشر ٠

وهذا التعريف الكمى الصرف يعود الى الايمـــان بأن الهدف الاسمى « للتقدم » و « النمو » هو ارادة القوة تلك حتى لو أدت تلك الارادة الى تدمير الطبيعة والبشر ٠

ولا يكتفى الغرب بهذا ، بل انه ينصب من نفسه قاضيا على جميع الحضـــارات الأخـــرى معتبرا أن طريقـــة تطوره وما وصل اليه وما يريد الوصول اليه هو النموذج المثالى لما يجب أن يكون عليه هدف أى مجتمع آخر ٠ وهكذا يقرر أن شعبا ما ، أو حضارة ما أو علما ما « بدائيا » و « متخلفا » بالقياس الى النقطة التى يوضع فيها هذا المجتمع على المسار الذى سار فيه المجتمع الأوروبى ٠ والفكرة تبدو شاذة حقـــا وشديدة التعصب خاصة اذا سأل هؤلاء الساعون الى السيطرة وارادة القوة ، أنفسهم هذا السؤال : ألم تتحـــول أوروبـــا وبالتالى الغرب منذ عصر النهضة (أى منذ نشأة الرأسماليـــة

الغربية وبالتالى الاستعمار المتزامن معها الى تبرير للرأسمالية والاستعمار جاعلة الهدف الوحيد للعلوم والتكنولوجيا هو أن « تجعلنا سادة الطبيعة ومالكيها ، كما كتب (ديكارت) فى كتابه « بحث فى الطريقة » ·

وأبدا ليس لتأمين تفتح وازدهار الانسان ، كل الانسان ، وكل انسان ·

هكذا يبدأ جارودى مدخله الى دراســـة الثورة العلميــة والتكنولوجية التى قامت بها الحضارة الاسلامية مســـاهمة عظمى منها فى رفع شأن البشرية ·

وفى هذا الصدد يقول ، وهو يعنى الحضارة الشاملة ، حضارة الاسلام : تفتح كل انسان وأعنى بذلك الانسان بكل أبعاده ، بما فى ذلك علاقاتنا الجمالية بالطبيعة كمشاركة منا فى « حياتها » أى حياة (الطبيعة) وليس اعتبارها مجــرد مستودع للمواد الأولية وكانها مستودع نفايات ·

ان تفتح كل انسان هو الشىء الذى ينقص فلسفة النمو الغربية وديانة التقدم التى يعتنقها الغرب · فهذا النمو نفسه هو السبب فى تفاقم الفوارق بين الطبقات فى بلدان «النمو»، وهذا « النمو » الغربى نفسه لا يمكن أن يتحــقق الا بنهب موارد العالم « المتخلف » عن النمو المادية والبشرية · هــذا فوق انه ــ فى الحقيقة ــ لا توجد بلدان « متقدمة » متطورة، وبلدان « نامية » متخلفة ، بل توجد بلدان « مسيطرة» وبلدان « مسيطر عليها » بلدان مريضة من فرط النمو ، من التخمة ، والآخرون مخدعون بسراب هذا النمو الانتحارى نفسه الذى تديره « نخبة » منهم تكونت ثقافيا فى الغرب وتم التوصل الى اقناعها بان مستقبلها هو فى السير على منوال البلــدان المتقدمة « المريضة » وفى تقليدها ·

لقد احتاج تيمور لنك أياما وأياما لذبح ٧٠٠٠٠ شخص من البشر عند استيلائه على أصفهان حتى يستطيع أن يكدس جماجمهم على هيئة هرم كبير • أما فى هيروشيما فقد حصل الغرب على نفس النتيجة خلال ثوان • انـه لتقـــدم علمى وتكنولوجى لا ريب فيه ولا مراء • وقد وصل هذا التقدم الى انه توجد في حوزة هذا الغرب«بشقيه الرأسمالى والاشتراكى» ما يعادل مليون قنبلة مثل قنبلة هيروشيما ، وهو ما يساوى خمسة أطنان من المتفجرات المألوفة مثل ت•ن•ت ، لكل رأس من سكان المعمورة •

ان الثورة الخضراء وبذورها العجيبة زادت محـــاصيل الارز زيادة هائلة فى جنوب شرق آسيا ، فى مـــدة خمس سنوات • فى حين ان التكنولوجيا الأوروبية المستخدمـة فى الزراعات العميقة المفروضة على بعض بلدان العالم الثالث ، طمرت القشرة الرقيقة من التربة العضوية ليقـوم الغـرب ببيع الاسمدة الكيماوية الفتاكة بما تولده من طاقة بحيث لم يعد هذا الجزء اللابترولى يستطيع شراء تلك الاسمدة •

ان العلم يكون سفها وظلما اذا لم يكن له هـدف آخـر الا العلم نفسه ، العلم للعلم، فهذا التضخم في المعرفة المنفصلة عن الحياة يصاحبه الضمور فى جميع أبعاد الانسان الأخرى : الحب والابداع ، والتأمل فى غيابات الحياة والطمـــوح الى التوازن والانسجام فى علاقتنا مع الطبيعة وعلاقاتنا الانسانية ببعضنا البعض •

ان مبدأ التوحيد قد سد الفاصل بين العلم والايمان ، فما دام كل شىء فى الطبيعة هو « امارة » على حضور الله ، تصبح معرفة الطبيعة ، كالعمل لونا من ألـوان الصـــلاة ، وطريقة للاقتراب من الله •

وفى الحديث النبوى الشريف :

« من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله به طريقه الى الجنة ٠٠ » ٠ و « يوزن مداد العلماء بدم الشـهداء يـوم القيامة ٠٠٠ » ٠

لقد جمع الاسلام ، وترجم الى اللغة العربية ، كل ما ازدهر قبله من علوم وثقافات من حضـارة بين النهرين الى مصر وبيزنطة ، كل ما تخلف من اليونان والرومان ، كل ما كان قبله من طب وعلـوم وتقنيـات ، وانه لأمر ذو مغزى عظيم الا يطالب الخليفة هـارون الرشيد (٨٧٦ ـ ٩٠٩) عندما استولى على انقرة ، أو الخليفة المأمون من بعده عندما انتصر على الامبراطور البيزنطى ميشيل الثالث الا بتسليم مخطوطات قديمة تعويضا عن أضرار الحرب ٠

ولقد حدثت حركة ترجمـة عظمى منذ القـرن الثامن الميلادى ٠ فقد اجتذب هارون الرشـيد الى بلاطـه فطـاحل الباحثين واللغويين من كل أصل ، وأشهر من رأس هذا العمل كان حنين من قبيلة العباديين العربية التى استقرت منذ زمن بعيد فى الحيرة ولم يكن حنين الذى اعتنق المسيحية مع ذلك (وهذا شاهد آخر على مدى غنى وثراء الحضارة الاسلامية ، اذ كان فى ظلها يستطيع أهل كل كتاب بل حتى البوذيين ان يتعايشوا مع المسـلمين وأن يتسـاووا معهم فى الحقوق والواجبات) ولقد قام حنين بترجمة مؤلفات أبو قراط فى الطب وجالينوس وديكوسكيوريدس وكذلك مؤلفات الرياضيين والفلكيين وعلماء الطبيعة وبأمر من المأمون قام الغـزارى بترجمة واقتباس بحث الـ « سيد هانتا » فى علم الفلك الهندى للعالم براهما فوستا ٠ واذ تعلم العـرب من الصـينيين فن صناعة الورق (وكان انشاء أول مصنع له فى بغداد عـام

٨٠٠ م) الذى لم يعرفه الغرب عن طريقهم الا بعد أربعة قرون • كما أن المكتبات قد تكاثرت فى أرجاء العالم العربى، وفى عام ٨١٥ أنشأ الخليفة المأمون فى بغداد (بيت الحكمة) احتوت على مليون مؤلف • وفى القرن العاشر كانت مدينة صغيرة كالنجف فى العراق ، تملك ٤٠٠٠٠ مجلد وفى الطرف الآخر من الدنيا ، فى أسبانيا المسلمة كان الخليفة فى قرطبة يستطيع التباهى فى القرن العاشر بمكتبة تضم ٤٠٠٠٠٠ كتاب ، في حين أن ملك فرنسا شارل الحكيم (أى شارل العالم) بعد أربعة قرون من هذا التاريخ كان بالكاد يستطيع أن يجمع ٩٠٠ كتاب ، ولكن ليس هناك من يستطيع ان ينافس خليفة قاهرة العزيز الذى كانت مكتبته تحتوى على ١٦٠٠٠٠٠ مجلد منها ٦٠٠٠ فى الرياضيات و ١٨٠٠٠ فى الفلسفة ، هذا الشغف بالكتب وهذا السعى الجاد لتمثل كل الثقافات السابقة لم ينطو على أية انتقائية أو اصطفاء ، وانما أخذه المسلمون واخصبوه برؤيتهم ثم قدموا هذا جميعا كنزا خالصا للثقافة البشرية •

ان سبب الركود العلمى الرئيسى فى أوروبا المسيحية ، كان الارتياب فىالطبيعة الذى لا يمكن الا أن يبعد الانسان عن الله • وتلك الثنائية بين الطبيعة وبين الله والايمان هى التى أفسدت الرؤية المسيحية •

وعلى هذا قام كثير من البطاركة بحرق المكتبات باعتبار انها تساعد على « الوثنية والهرطقة » •

وعكس هذا تماما ما يعبر عنه النظام التربوى الخاص بالاسلام الذى يشكل تعليم القرآن فى الجامع نقطة الانطلاق فيه ، اذ تندمج الحكمة والعلوم بالعقيدة فى وحدة عضوية ، اذ أن هدفها جميعا هو عالم من « نور الله » تتجلى فيه آياته ،